

الإدارة المالية للدولة الغزنوية في عهد

السلطان محمود وولده مسعود ٣٨٨-٤٣٢هـ / ٩٩٨-١٠٤٠م

الدكتور / عبد الكريم حاملة

جامعة مؤتة - قسم التاريخ

مقدمة :

تحاول هذه الدراسة أن تكشف للقارئ الكريم عن طبيعة الإدارة المالية في الدولة الغزنوية وذلك في عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي وولده السلطان مسعود بن محمود الغزنوي ، وما كان لهما من أعمال موفقة في النواحي المالية والإدارية والسياسية وتمكنها أيضاً من إنشاء دولة إسلامية مترامية الأطراف شملت بلاد ما وراء النهر وخراسان ونيسابور وسجستان والهند وباكستان وأفغانستان ، إذ انتظمت هذه البلاد بالحكومة المركزية . فالسلاطين الغزنويون ليسوا أول من اتخذ من الإدارة المالية وسيلة للنهوض بالدولة بمؤسساتها الإدارية في الحضارة الإسلامية ، بل كانوا مقلدين للخلفاء العباسيين ، ومقتبسين عنهم معظم نظمهم المالية والإدارية والسياسية وبناءً على ذلك فإننا نرى أن الإدارة المالية عند الغزنويين هي امتداد لمنجزات الخلافة العباسية .

وبما أن الدولة الغزنوية ، انفردت بنظام حكم مستقل يمتلك عناصر القوة والتجديد ، فقد عملوا على إظهار الإدارة المالية بمظهر متميز ، حيث كانت هذه الإدارة مؤسسة متطورة علماً بأن السلطان الغزنوي كان صانعاً للقرار السياسي ، ومنظماً لمرافق الدولة المالية والإدارية والعسكرية ولم تبق الدولة الغزنوية في أوج قوتها وازدهارها ، بل أصابها الضعف والخلل ، مما أدى أخيراً إلى وقوعها في ضائقة مالية ، من جراء النفقات وانهارها ، على الرغم من محاولات الإصلاح التي قام بها الوزراء في هذا المضمار وتوخياً لدقة المعلومات ، فقد رجعت في هذه الدراسة إلى مصادر تميزت بأن بعض مؤلفيها عاصروا تلك الفترة ، وكانوا على صلة قوية برجال الحكم وهذا مما أثرى من قيمة البحث ومن أشهرهم :

العتبي (ت ٤٢٨/١٠٣٧م) وهو مؤرخ الدولة الغزنوية ، ويعد كتابه " تاريخ اليميني " من أهم الكتب التي تناولت تاريخ الدولة الغزنوية في عهد سبكتكين وابنه

السلطان محمود ، فقد كان العتبي كاتب السلطان محمود وسفيرة ، وقد عرض بأمانة ودقة لتاريخ الغزنويين وخاصة ما يتعلق بالإدارة المالية .

كذلك المؤرخ البيهقي (ت ٤٣١هـ/١٠٤٠م) صاحب كتاب تاريخ البيهقي ، حيث يعد كتابه من أهم المؤلفات في تاريخ الدولة الغزنوية ، وأهميته جاءت في أنه لم يكتف بذكر الأحداث السياسية ، بل جاء بعرض دقيق للنظم السياسية والإدارية والمالية ، ورسوم قصر السلطان ، ومظاهر الحياة الاجتماعية لذلك جاءت معلوماته دقيقة لأنها كانت مدعمة بالوثائق التي كانت في متناول يده إذ كان نائباً لرئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود.

والمؤرخ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) صاحب كتاب الكامل في التاريخ ، وقد زودنا بمعلومات وافية عن الحياة الاقتصادية عند الغزنويين .

هذا بالإضافة إلى مراجع متخصصة عن الغزنويين ، سواء أكانت هذه المراجع عربية أم أجنبية ، وهي مثبتة في قائمة المصادر والمراجع ، وعلى رأس هذه المراجع ما كتبه المستشرق بارتولد في كتابه عن تركستان ، ومحمد ناظم عن السلطان محمود الغزنوي ، وأيضاً ما كتبه المستشرق بوزورث على دراسة المشرق الإسلامي ، وخصوصاً ما يتعلق بالدولة الغزنوية ولا ننسى أيضاً الكتب الجغرافية التي تناولت موضوع البحث مثل الإصطخري ، ابن حوقل ، المقدسي ، وغيرها من المصادر التي سيرد ذكرها ضمن البحث .

اهتمام الغزنويين بجمع المال : اهتم الغزنويون اهتماماً كبيراً في جمع الأموال ، وخاصة في عهد السلطان محمود وولده مسعود ، وراحوا يبحثون عن أسلم الطرق والوسائل لجمعها ، حيث كانت هذه المكاسب المالية سبباً وراء تطور مرافق الدولة "كإشادة المعاهد العلمية ، وشق الطرق وبناء المساجد والقلاع والجسور"^(١)

(١) Meyer , M.W South Asia Ashort History of subcontinent (New Jersey : ١٩٦٧) p.

كذلك نلاحظ أن حكم فترة السلطان محمود لم تنقطع فيها جمع الغنائم الهائلة والهدايا ، وذلك بسبب حاجته للمال ، وهذا ما أكده المؤرخون ، ومنهم المؤرخ المعاصر العتبي ، الذي زودنا بمعلومات عن حاجة السلطان محمود للمال ، وذلك لتجهيز حملة عسكرية يعدها الوزير أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي في مدى يومين ، وكانت النتيجة كما يقول العتبي " ووكلمهم باستخراجه في يومين لاهتمام الركض وضيق رقعة الوقت ، فعصبوا عصب السلم وسلخوا سلخ الغنم وأقيموا على جمرة الضرم "(١) .

كذلك عدّ المؤرخ ابن الأثير شهوة حب المال عند السلطان محمود النقيصة الوحيدة وهي التي تعيبه بقوله : " ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل طريق ، فمن ذلك أنه بلغه أن إنساناً من نيسابور ، كثير المال ، عظيم الغنى ، فأخذه إلى غزنة وقال له : " بلغني أنك قرمطي ، فقال : لست بقرمطي ولي مال ، يؤخذ منه ما يراد ، وأعفي من هذا الاسم فأخذ منه مالا ، وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده "(٢)

وما أورده ابن الأثير من أن السلطان لم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل الطرق ، هل كانت الطرق شرعية أم لا ؟ ومن الطبيعي أن لا ينظر الناس ، إلى جامعي الضرائب نظرة فيها محبة للدولة ، وأما قصة القرمطي فليست دليلاً على ظلم نظراً لاختلاف الرجلين في المذهب ، وموقف جميع الممالك والدولة العباسية من القرامطة معروف.

(١) العتبي : أبو النصر بن عبد الجبار (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م) تاريخ اليميني ، ج ٢ وبه شرح الشيخ أحمد بن علي الحنفي الميني المتوفى سنة ١١٧٢ م وسماه الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي (القاهرة : ١٢٨٦ م) ١٦٨ .

(٢) ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن عبد الواحد الشيباني ، (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) الكامل في التاريخ ، ج ٩ (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٩ م) ص ٤٠١ .

أما مصادر الدخل في الدولة الغزنوية فيمكن أن نجعلها في ما يلي :

أولاً : الأراضي والممتلكات الخاصة بالأسرة المالكة :

كانت هذه الممتلكات تشمل : ضياع السلاطين التي كان يملكها السلطان نفسه أو الضياع التي تخص الأمراء ، أو أفراد الأسرة الغزنوية ، كما كانت تشمل أيضاً الممتلكات التي كانت تمنح لبعض الوزراء ، وكبار رجال الدولة .^(١) وتشمل أيضاً أراضي زراعية شاسعة تجارية ، وأعداداً هائلة من الأغنام^(٢) وكان يشرف على ممتلكات الأسرة المالكة ديوان يعرف بديوان الوكالات ويشرف على إدارة السلاطين والأمراء . وعلى الجانب المالي في إدارة البيت الملكي^(٣).

ثانياً : الأملاك المصادرة :

وهي من العقوبات الصارمة ، والتي تفرض على الأشخاص الذين إتهموا بالخيانة والرشوة ، وتكون عقوبتهم تجريدهم من أملاكهم ، وضمها إلى أملاك السلطان^(٤). وأصبح من المتعارف عليه أن كل فرد يتعرض للقبض عليه تتم على الفور إجراءات مصادرة ما يحصلون عليه من أموال بغير وجه حق وقد تعرض لهذا الإجراء القاسي شخصيات مرموقة في الدولة أمثال :

(١) محمد حسن العمادي ، خراسان في العصر الغزنوي (إريد مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية ١٩٩٧م)

ص ١٢١

(٢) البيهقي : أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي ، (ت ٤٧٠ هـ / ١٠٩٢ م) تاريخ البيهقي ، ترجمة يحيى

الحشاش صادق نشأت (بيروت : دار النهضة العربية ١٩٨٢ م) ص ١٣٥

(٣) العمادي ، خراسان ، ص ١٢١

(٤) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ١٩٧ . وسنجد بالتفصيل عن تجريد كل ما يمتلك حسنك من الضياع باسم

السلطان محمود

الوزير الإسفرائيني : أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني ^(١)، تعرض هذا الوزير ، والذي شغل وزيراً مفوضاً للبلاط الغزنوي من سنة (٣٨٧ - ٤٠١ هـ / ١٠١١-٩٩٨م) للمصادرة ، وذلك بسبب تعسفه مع أهل خراسان في الجباية فلما ساءت الأحوال في خراسان ، ولم يعد في إمكانه أن يجمع المال المقدر لذلك اتهمه السلطان محمود باحتجاز الأموال لنفسه " فطالب الوزير منها بما اقتطعه واتواء وضيعة وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والإحالة ، فهما عضبة العتب بثقافة أظهر الاستعفاء ، وجلب إلى نفسه البلاء ، واسلم النفس اختياراً وآثر الحبس قراراً وتوسط الملاء بين السلطان وبينه " ^(٢).

كما تعرض أيضاً للمصادرة والعزل كل من : أحمد بن حسين بن ميكال حسنك والوزير أحمد بن عبد الصمد ^(٣). وفي أحسن الأحوال كان الفرد يتخلص من الحبس بدفع فدية لقاء ذلك ^(٤) وقد قدرت الفدية (بأخذ ثلثمائة ألف دينار) ^(٥). الوزير أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي ^(٦). والذي أبدى كفاءة ومقدرة في وزارته ، غير أن ذلك المنصب جعله هدفاً للحساد من ندماء السلطان محمود ، وكبار الأعيان في الدولة مما أدى أخيراً إلى مصادرة أمواله وعجزه سنة (٤٠٩ هـ / ١٠١٩م) وهذا ما أكدته العتبي بقوله : " فاعتزل العمل ونزل عن كل ما حصل وفزع من بعد إلى خاص أملاكه وضياعه ومواشيه وكراعه وتجمله وأثاثه

(١) الفردوسي : أبو القاسم الفردوسي ، (ت ٤١١ هـ / ١٠٢١م) مقدمة الشاهنامه ، ترجمة الفتح بن علي البنداري ، علق عليها عبد الوهاب عزام (القاهرة : ١٩٣٢م) ص ٥٦. العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ص ١٠٦-١٦٦

(٢) العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ١٥٩

(٣) أحمد الجوارنة ، طبيعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية (مستل من المجلد العاشر ، العدد الثالث من مجلة أبحاث اليرموك) جامعة اليرموك ١٩٩٤م ، ص ٥٦-٥٧

(٤) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ١٧٥

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٦) انظر ترجمته : العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ١٦٦-١٧٢

حتى حلى أثاثه فحل ما اعتقده منها على مال مصادرتة وما جمع عليه من بقايا عمله " (١).

ويرى ابن الأثير أن سبب الخلاف بينهما ، يرجع إلى أمور وقعت من الوزير أنكرها عليه السلطان " وكان السلطان محمود قد قبض عليه سنة اثنتي عشرة وأربعمائة لأموار أنكرها ، وقيل شره في ماله وأخذ منه لما قبض عليه مالا وأعراضاً بقيمة خمسة آلاف ألف دينار " (٢).

ما أورده المؤرخ ابن الأثير حول علاقة السلطان محمود ووزيره الميمندي ، حقيقة لا يعاد إلى جشع السلطان وحبه في ماله ، بل جاء لأموار أنكرها السلطان عليه ، ولما تم القبض عليه وأحضر صاحب ديوان الاستيفاء ، وجد لديه خمسة ملايين دينار جمعها بغير وجه حق.

ويعلل المؤرخ الهندي محمد حبيب سبب سوء العلاقة بين السلطان محمود والوزير الميمندي إلى تلك الشهرة العالية التي نالها الوزير بالإضافة إلى قوة شخصيته التي خشيها الولاة والقادة (٣).

ولعل الرواية التي أوردها العتبي حول سوء العلاقة بينهما كان من أهم الأسباب الذي جعله هدفاً للحساد من ندماء السلطان محمود وكبار رجال الدولة . يلاحظ من كل ما سبق أن هذه المصادرات قدرت بأموال كثيرة وقد جمعت هذه الأموال بغير وجه حق ، وقد أضيفت إلى أملاك السلطان الغزنوي محمود وولده مسعود ، وقد مكنتهما بأعمال إنشائية عمرانية ، وأخرى هبات وأعطيات لشخصيات قاموا بمدح السلطان ، وتمجيد أعماله العسكرية ، ونفقات الحملات

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧٠

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٤٠٠

(٣) Muhammed Habib: Sultan Mahmud of Ghaznin (Lahore : ١٩٧٨) p.٦٨

الحربية ، حيث كانت تكاليف الدولة الغزنوية باهظة في هذا الصدد ، لأنها كانت في غزوات متواصلة بعضها في بلاد الهند ، وبعضها ضد القوى الإسلامية المعادية . كما يلاحظ أيضاً الاهتمام الزائد من قبل السلطان محمود وولده بضبط هذه الأموال وتسجيلها عن طريق ديوان يسمى ديوان الاستيفاء .

ديوان الاستيفاء : وهو من الدواوين المالية المهمة لدى الدولة الغزنوية ومهمته تسجيل الأموال ، واستلام المحاصيل ، والقيام بمحاسبة الموظفين العاملين بالإضافة إلى الأفراد المنوط بهم أموراً مالية للسلطان ^(١) وديوان الاستيفاء هو ديوان المحاسبة ، والمستوفي المحاسب ^(٢) وكان السلطان محمود الغزنوي يستخدم الشدة في المحاسبة ، كالضرب بالسياط وقطع الأيدي والأرجل والتعذيب ^(٣) .

ديوان العارض : والعارض (صاحب ديوان الجند) من أهم الدواوين عند السلطان محمود الغزنوي حيث أوكل إلى العارض نفقات الجيش ، وأرزاق الجند وكان له الحل والعقد والإثبات والإسقاط ^(٤) . ولأهمية هذا المنصب عندما يعين العارض يأمر السلطان بخلعة فاخرة تشتمل على منطقة سبعمائة مثقال ^(٥) ويعني ذلك أنه أصبح من الرتب الكبيرة في الدولة ويستعين عادة بمجموعة من الكتاب لعمل بيانات بمكافآت الجند ، وبيانات المصروفات . ومن تولى هذا المنصب في عهد السلطان محمود الغزنوي كما ذكر البيهقي : أبو القاسم كثير حيث كان " يجلس مع أبي سهل الحمدوي طاهر وأبي الفتح الرازي وغيرهم من سادات الدركاء والمستوفين " ^(٦) ، وبقي في منصبه حتى فترة زمن السلطان مسعود ثم عزله وولى

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ١٣٦ ، ٨٠٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٦

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٤) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٥٣٦

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩٦

بدلاً عنه أبا سهل الزوزني ، بناءً على طلب الوزير أحمد حسن الميمندي ، وقد لعب الزوزني دوراً مهماً في القضاء على الوزير حسنك وزير السلطان محمود ، وكاد أن يسيء العلاقة بين السلطان ووالي خوارزم سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) ، لولا أن كشف السلطان أمره فعزله وصادر ممتلكاته .^(١)

ثالثاً : الخراج : ومن مصادر الدخل في الدولة الغزنوية ضريبة الخراج ، وهي عبارة عن مقدار من المال أو الحاصلات ، ويفرض على الأرض التي صولح عليها المشركون ، يؤخذ الخراج على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة (بالقتال) ويؤخذ الخراج أيضاً على الأرض التي أفاء الله بها على المسلمين (استحوذوا عليها دون قتال) . ومن ذلك يحدثنا الماوردي أن هناك ثلاثة أنواع من الأراضي لا يفرض عليها الخراج وإنما يدفع عنها أصحابها عشر ثمارها ومحصولاتها وتسمى الأرض العشرية وهي ^(٢) : الأرض التي أسلم أهلها وهم عليها بدون حرب وهذه كانت تترك لهم على أن يدفعوا عنها ضريبة العشر زكاة ثم الأرض التي ملكها المسلمون عنوة (بالقتال) وهذه تعتبر أرض عشر ، وأخيراً الأرض التي كانت تؤخذ من المشركين عنوة ، وهذه تعتبر غنيمة تقسم بين الفاتحين فيملكونها ويدفعون عنها العشر من غلتها وحينئذ تكون أرض عشر ولا يوضع عليها خراج .

ويخبرنا آدم متز أن أهم الحاصلات الزراعية الموجودة في مناطق الدولة الغزنوية هي : الكرم ، فواكه الأترج والنانج ، البطيخ ، التمر ، الحبوب بأنواعها مثل السمس ، الحنطة والشعير ، الذرة ، الجوز ، اللوز ، والأرز ، القطن .^(٣)

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧

(٢) الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية (القاهرة : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) ص ١٣١

(٣) آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ج ٢ نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريصة (بيروت : دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م) ص ٣٠٢-٣١١ الإصطخري : أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ، (ت ٣٤١هـ / ٩٥٩م) المعروف بالكوفي .

وجدت في الدولة الغزنوية أيضاً الضريبة المفروضة على الأموال التجارية الصادرة والواردة إلى الدولة الإسلامية ، وكانت تفرض الضرائب على البضائع المنقولة من ناحية إلى أخرى براً وبحراً ، وقد أنشئت لجبايتها دور المكوس في أماكن مختلفة وخاصة في البر والبحر والنهر ، وكذلك فرضت على الدور والخوانيت والأسواق ، وكانت واردتها كبيرة ، وكانت أصفهان وجرجان ، تمولان خزائن الدولة بأموال كثيرة من ضرائب التجارة نظراً لانتعاشها تجارياً^(١).

كذلك فرضت على المعادن المستخرجة من جوف الأرض وتقدر بالخمس^(٢) وذكر آدم متز أن من أهم المعادن الموجودة في الدولة الغزنوية : الفضة والذهب (سجستان) جبل الفضة (بلخ) النحاس (أصفهان) فارس استخراج الحديد حديد كرمان ، كابل الفحم الحجري ، فرغانة وبخارى^(٣). الياقوت والزمرد ، واللؤلؤ ، والفيروز .

ويلاحظ من ذلك أن الغزنويين اهتموا كثيراً بتحصيل تلك الضرائب على الموارد الزراعية والمعدنية والتجارية ، وقد أخبرنا المؤرخ المعاصر العتبي بأن هؤلاء العمال المكلفين في الحصول عليها ، كانت تساندهم قوة عسكرية ، وذلك "بتعيين حاكم قوي ليضبط الأمن"^(٤).

المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني مراجعة محمد شفيق غربال (القاهرة :

١٣٨١هـ / ١٩٦١م) ص ١٤٩ ابن حوقل ابو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)

كتاب صورة الأرض (لندن : ١٩٦٧م) ص ٢٢٨

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٧٦

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٩٨

(٣) آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ، ٣٢٥.٣٢٢

(٤) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٤٩٢

كذلك أسندت الدولة مهمة تقدير الضريبة من الخراج إلى عمالها في بعض الأحيان

أما شكل الضريبة المقررة ، فتكون إما نقداً وإما مقداراً من المحاصيل عند نضجها ، ويرى بوزورث أن هؤلاء العمال "كانوا يقطعون قسماً من هذه الضريبة كمرتبات لهم" ^(١) في حين يرى البيهقي بأن الجند "منحوا براءات ليأخذوا الأموال بعنف" ^(٢)

ويرى بوزورث أيضاً أن "لغياب المعلومات عن مقدار الضريبة المقررة لدى الغزنويين علينا مقارنتها بالضريبة التي كانت عند السامانيين" ^(٣) ويستطرد بوزورث قائلاً:

"بأن هناك فرقاً شاسعاً ما بين الدولتين في أسلوب جمعها وعسف النظام الضرائبي لدى الغزنويين" ^(٤)

وما يتبقى من الضريبة بعد جمعها ، ترسل إلى الأماكن والفروع الإدارية في الولايات ومنها إلى الإدارة المركزية .

أما بارتولد فيقول بأن "القائمين على الضريبة وأساليبيهم في جمعها تجاوز حدود المعقول وذلك بالضغط الواقع عليهم من قبل السلطان ، وقد أدى ذلك إلى ترك الفلاحين أراضيهم في القرى بعد خرابها وذلك بسبب هذه الضرائب" ^(٥).

(١) Bosworth , C.E. *The ghaznavids their Empire in Afghanistan and Eastern Iran* (Edinburgh , ١٩٦٣) p.٣٣

(٢) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٤٩٢

(٣) Bosworth , *The ghaznavids* , p . ٣٢

(٤) Bosworth , *The ghaznavids* , p . ٣٣

(٥) Barthold , w . *Turkerstan Down to The mongel Invasion* (London: ١٩٦٣) p.٢١٧

وقد اعتمد بارتولد على ذلك برواية العتبي والذي علق بها على عزل السلطان محمود لوزيره أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني بقوله " فأظهر السلطان ضجراً من تحير الأموال وتراجع الارتفاعات ، فطالب الوزير منها بما اقتطعه وأتواه وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والإحالة فهما عضه العتب بثقافة أظهر الاستعفاء وجلب إلى نفسه البلاء وأسلم النفس اختياراً وآثر الحبس قراراً وتوسط الملاء بين السلطان وبينه" (١)

كذلك كانت هناك أموال تجمع لأمر استثنائية بالإضافة إلى الضريبة المقررة ، ومن الأمثلة على ذلك ، كان الناس يكلفون بتوفير العلف للدواب في المناطق التي يسير فيها السلطان وجيشه .

وهذا ما أكدّه البيهقي بقوله : " ويقال إن سكان آمل ألف ألف رجل فلو أخذ من كل رجل دينار لتجمع منهم ألف ألف دينار ، ولحصلنا فضلاً عن ذلك على الذهب والثياب ، ويسوي كل هذا في ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر وبعد النوروز بمدة حين نكون في نيسابور ، نقدر إذا شئنا البقاء بها في الصيف ويهيئ سوري والرعية ما يلزم من العلف " (٢).

وعندما أشرف عهد السلطان مسعود الغزنوي على نهايته ، كانت السياسية الغزنوية المالية ، قد سوّدت صورة البلاد ، كما وعصفت بأوضاعها الأمنية ، ويؤكد البيهقي ذلك بقوله عن حاكم خراسان ، الذي كان يتجبر في جمع الأموال ويهدي منها للسلطان " وفي اليوم الثالث من رمضان قدموا للسلطان الهدايا التي كان قد أعدها صاحب ديوان خراسان ، وكانت تشمل على خمسمائة حمل من الهدايا التي كنت قد رأيت مثلها بين الهدايا التي جاء بها حسنك إلى السلطان

(١) العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ١٥٩

(٢) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٤٧٣: ٤٧٤

محمود في العام الذي عاد فيه من الحج ، بعد وصوله من نيسابور إلى بلخ وقد احتوت هذه الهدايا على كثير من الألبسة والطرف وآلات الذهب والفضة والغلمان والجواري..."^(١).

بالإضافة إلى هذه الهدايا ، فإنه قد أرسل مع هديته "من المأكولات والمشروبات ما يناسبها"^(٢).

ومن هذا النص يمكن ملاحظة حاكم خراسان كما وصفه البيهقي بأنه كان رجلاً ظالماً لا يخاف الله في جمع الأموال التي يأخذها من الفلاحين ، فقد استحوذ على أموال لا تحصى ، وامتد ظلمه إلى الضعفاء ويؤكد ذلك البيهقي بقوله : " وكان يقاسم السلطان يعطيه خمسة من كل عشرة دراهم يغتصبها "^(٣).

ويستطرد البيهقي قائلاً " فإنه إلى جانب ظلمه ، كان رجلاً كريماً في الصدقات مؤدياً للصلوات ، وله أثار طيبة في مدينة طوس "^(٤).

بالإضافة إلى كل ما ذكر فإنه بلغ الأمر أثناء حكم السلطان مسعود بأن قدر ضريبة فادحة على سكان آمل وطبرستان ، وقد بين ذلك البيهقي بقوله : " اكتب ما يجب أن يحصل من آمل وطبرستان وما يجب أن يجنيه أبو سهل إسماعيل وهو ألف ألف دينار من الذهب النيسابوري وألف قطعة من الألبسة الرومية وغيرها وألف قطعة من المحفريات والسجاد ، وخمسة آلاف كساء "^(٥).

وكان موقف الناس من هذه الضريبة أنهم ضجوا بالشكوى ، ولم تجد توسلاتهم واستغاثاتهم في إلغائها أو تخفيفها .

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٣٦

(٢) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٤٣٧

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٣٨

(٥) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٤٩١-٤٩٢

يلاحظ من كل ما سبق أن السياسة الغزنوية المالية الخاطئة والتعسفية كانت السبب في الانتفاضات والثورات والهلاك الذي حلّ بالقرى والمدن ، ومما يؤكد ذلك أن أهالي خراسان كاتبوا التركمان في ما وراء النهر ليخلصوهم من حكم الغزنويين .

أما الأغنياء " فقد تقطعت بهم الأسباب ، فكتبوا الرسائل إلى ما وراء النهر وأوفدوا رسلهم شاكين لأمراء الترك كي يغروا التركمان بالغزنويين " ^(١).

رابعاً : الغرامات والهدايا : ومن مصادر الدخل في الدولة الغزنوية :

الغرامات والهدايا ، حيث كانت تفرض على الأقاليم المفتوحة ، وخاصة الهند والتي كانت مصدراً مهماً ، فقد ألزم السلطان محمود بعض حكام الهند ، بدفع مبالغ مالية سنوية إضافة إلى الهدايا التي تصل إلى غزنة ، وإن لم تكن بصورة منظمة

ومن الأمثلة على ذلك :

ألزم السلطان محمود الغزنوي والي الملتان (أبا الفتوح) سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٥م) بغرامة تقدر " بعشرين ألف ألف درهم يدحضون بها دنس استعصابهم ويدروّن عن أنفسهم هجئة استشرائهم وأبائهم وعبر ذكره بما آتاه الله تعالى من نصرة الدين وإنارة معالم الدين " ^(٢).

وكان ذلك بسبب انتحاله مذهب الباطنية ، ويدعو الناس إلى عقيدته وهذا ما أكد عليه العتبي بقوله " فقد كان بلغ السلطان يمين الدولة وأمين الملة حال والي الملتان أبي الفتوح من خبث نحلته ودخل دخلته ودحس اعتقاده وقبح إلحاده ودعائه إلى مثل رأيه أهل بلاده فأنف للدين من مقارته على فظاعة شره وشناعة أمره " ^(٣).

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٣٧

(٢) العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ٧٥

(٣) العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ٧٢

طالب السلطان محمود الغزنوي ملك الهند في وقعة " ناردين " سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) بدفع جزية ، وقد زدنا العتبي بمعلومات وافية حول ذلك بقوله "أن يقود إليه (ملك الهند) بادئ الأمر خمسين فيلاً ، يعدّ أحادها بأضعافها ثقل أجسام وخفة أقدام ويحمل معها مالاً عظيم الخطر كثير القدر بما يضاهيه من مبار تلك الديار ومتاع تلك البقاع وعلى أن يناوب كل عام بين أفناء عسكره في خدمة بابه بألفي رجل بادئين وعائدين إلى إتاوة معلومة يلتزمها كل سنة يتمسك بها من يرث مكانه ويقوم في كفالة الملك مقامه فأوجب السلطان إجابته إلى ملتسمه لعز الإسلام بذل طاعته وإعطائه الجزية عن يده" ^(١).

وهكذا عقدت الهدنة بين الطرفين ، واستمرت الإتاوة تدفع بانتظام وهذا ما أكدته العتبي بقوله " فانعقدت تلك الهدنة ودرت تلك الإتاوة وتتابعت القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند في ضمان الأمان وجوار الحيلة والإحسان " ^(٢).

ألزم السلطان محمود الغزنوي في فتح قصدار سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م) الأخوين أيلك وطغان خان بدفع " خمسة عشر ألف ألف درهم من جملة ما كان ألظ به من أموال عمله فالتزمها ونفذ أكثرها ، وقبض السلطان على عشرين فيلاً ضخماً هائلة كان اعتقدها ليومي يؤسه وبأسه ووكل به من استوفى المال عليه " ^(٣).

قبل السلطان محمود الغزنوي شفاعة الخليفة العباسي لإبقاء أصفهان بيد البويهيين مقابل " أن يؤدي عن كل عام مائتي ألف دينار هروي * وعشرة آلاف

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢١

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٢

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٣

* هروي : دينار هريوة . يقال إنه نسبة إلى هراة ويقال إنه يطلق على الذهب الخالص والرائج . البيهقي ،

تاريخ البيهقي ، ص ١٦ (هامش رقم (١) .

ثوب من منسوجات تلك البلاد ، ومن الخيول العربية والبغال المسرجة ، ومن كل نوع من معدات السفر ، وذلك فضلاً عن أنواع الهدايا في النوروز والمهرجان " ^(١) .

يلاحظ من قبول السلطان محمود الغزنوي لهذه العروض ضمان استتباب الأمن على الطرق التجارية بين خراسان والهند والاستعداد لأي حركة عسكرية ليتمكن من السيطرة عليها .

عهد السلطان محمود الغزنوي ، أثناء التوسع في الإمارات الإسلامية إلى أحد القادة بحكم إقليم مقابل دفع مبلغ معين ، كما حدث في إقليم خوارزم مع الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه ^(٢) . حيث أقام السلطان محمود علاقات طيبة مع حكامه من آل مأمون حيث نتج عنها زواج أبي العباس المأمون خوارزمشاه من أخت السلطان محمود ^(٣) .

ولكن هذه العلاقات الطيبة ، لم تستمر طويلاً ، حيث طلب السلطان منه أن يقرأ الخطبة باسمه ^(٤) ولكن أبا العباس تردد في بداية الأمر ، مما اضطره أخيراً أن يدخل في صراعات مع السلطان محمود ، فعرض الأمر على كبار مستشاريه ، وكبار قاداته والذين أصروا الرفض في موضوع الخطبة حيث " أظهروا نفاراً وأصروا واستكبروا استكباراً " ^(٥) . ولكنهم تأمروا عليه وقرروا قتله وفعلاً " دخلوا عليه ذات يوم إليه على رسم السلام فإذا هو صريع كأس الحمام لا يدرى كيف قتل ، ومن أي وجه إليه قد وصل فبادروا إلى العقد لأحد أولاده ، وبسطوا أيدي الإصفاق على بيعته " ^(٦) .

(١) المصدر نفسه ، ص ١٦

(٢) العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ٢٥١

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، والصفحة نفسها

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥٢

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥٣

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥٤

ولما علم السلطان محمود بذلك غضب ، وقرّر الثأر للأمير المقتول ، فتقدم بقواته والتقى الجيشان سنة (٤٠٨هـ/١٠٨١م) . وقد بذل الخوارزميون مقاومة شديدة إلا أنهم هزموا أخيراً وجيء بزعمائهم إلى السلطان حيث أمر بصلبهم جميعاً^(١).

وهكذا استطاع السلطان محمود أن يحقق مطالبه بالقوة ، وقد استطاع أن يعين حاجبه الكبير التونتاش حاكماً من قبله على الإقليم^(٢) " فأقام بها قامعاً نجوم الفساد وفاقثاً عيون الغي والعناد ، إلى أن نصب مأوهم وأدعن للسلطان أفناؤهم "^(٣) خامساً : هدايا النوروز والمهرجان ، حفلات الزواج :

وفيما يتعلق بالهدايا فقد تلقى السلطان محمود كثيراً من الهدايا من الكيانات السياسية المجاورة مثل القراخانية ، فقد ذكر بوزورث أن الأيلىك نصر أرسل هدايا ثمينة للسلطان محمود مثل نقر المعادن ونوافيح المسك وقود المراكب وعبس الركائب وروق الوصفاء والوصائف وبيض البزاة وسود الأوبار ونصب الختو (سن فيل البحر) وكركدان البحر وأحجار الشب وطرائف الصين^(٤).

أ : النوروز : اهتمت الدولة الغزنوية بالأعياد الإسلامية ، مثل عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك ، كما اهتمت أيضاً بالأعياد الفارسية^(٥) والتي تأثرت بحضارة العرب وأساليب اللهو في هذه الأمم ، وكذلك تأثرت بالأمم التي اتصلت بها من ترك وهنود وغيرهم ، وتجمعت الأموال الضخمة في أيدي السلاطين

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥٨

(٢) العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ . كذلك انظر

Nazim , The life and times of sultan Mahmud of Ghazna
(Cambridge : ١٩٣١) p.p ٥٨-٥٩

(٣) العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ٢٥٩

(٤) Bosworth , The Medieval history of Iran , Afghanistan and central Asia variorum Reprints (London ١٩٧٧) p.p ٢٣٧ -٢٤٠

(٥) آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩٢-٢٩٣

الغزنويين والأمراء ، وجباة الخراج منها فكثرت المترفون المنعمون ، وكانوا ينفقون الأموال الكثيرة في هذه الأعياد وذلك حسب آدابهم وفنونهم .

فالنوروز كلمة فارسية مركبة من لفظين : أولهما نو بفتح النون أي الجديد وثانيهما روز أي اليوم . فكلمة نورزو في اللغة تأتي بمعنى اليوم الجديد ^(١) ، وفي عيد النوروز كان الناس يحتفلون بتبادل الهدايا ، وكانوا يرشون بعضهم بالماء ، ويعتقدون أن ذلك يزيل الأمراض ، ويضعف حرارة المزاج ^(٢) .

ونظراً لاهتمام الغزنويين بعيد النوروز فقد حدث البيهقي عن السلطان مسعود أنه جلس لاحتفال النوروز ، وقدمت له هدايا كثيرة ، وأقاموا زينات بهيجة ، واستمع للشعراء فقد كان مسروراً في أيام الشتاء هذه وخالي البال ، وكانت الفترة خلواً من الحوادث وأمر بالصلات للحاضرين وللمطربين أيضاً ^(٣) .

ب : المهرجان : هي من الأعياد الفارسية المعربة أصلها مهر كان ، وعيد المهرجان يلي في الشهرة عيد النوروز ، وكان الإيرانيون يحتفلون بهذا العيد منذ أقدم العصور وذلك في اليوم السادس عشر من شهر مهر .

وكان عيد المهرجان يلي عيد النوروز بعد مائة وأربعة وتسعين يوماً - أول أيام الشتاء (فصل البرد) وعلى عكس النوروز هو ابتداء فصل الربيع (فصل الحر) ^(٤) .

ذكر البيهقي بأن السلطان مسعود اهتم كثيراً بعيد المهرجان ، فكان يجلس للمعايدة ولتقبل التهاني والهدايا من الوزراء والأمراء والولاة وذلك بقوله " وجاءت

(١) النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) نهاية الأرب في فنون الأدب ،

ج ١ (من أصل ١٨ جزء) (القاهرة : ١٣٤٩-١٣٦٩هـ / ١٩٢٩-١٩٤٩م) ص ١٧٨

(٢) البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد ، (ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) الآثار الباقية عن القرون الخالية (لبيزنج :

١٩٢٣م) ص ٢١٥ فؤاد عبد المعطي الصياد ، النوروز وأثره في الأدب العربي (بيروت : ١٩٧٢م)

ص ٢٦

(٣) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٦٧٣

(٤) مزيدا عن التفصيلات انظر : البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٢٢٣-٢٢٤

هدايا كثيرة منها ما هو من قبل والي صغانيان ثم هدايا كاليجار والي جرجان " (١) ويضيف قائلاً " وقد أتى غلمان الموكل بالفائدة ، وفي أيديهم الأسياخ وقد علق بها الدجاج والخصى والبيض المسلوق ، وكل ما يلزم الملوك في عيد المهرجان من المحمرات ، واجتمع أعيان الدولة في المجلس ، وجلس الندماء كذلك وبادروا جميعاً إلى اللهو والطرب ، وكانوا يتناولون الطعام على طريقة الإستلات * ، ودارت أقداح الشراب بكثرة ، كما عزفت القيثارة وآلات الطرب ، وأخذ المطربون في الغناء فكان يوماً عظيماً يليق بملك كهذا " (٢).

يلاحظ اهتمام السلطان مسعود بهذا العيد " المهرجان " كما أكدّه المؤرخ المعاصر البيهقي في ذلك اليوم الذي يصادف فيه هذا العيد " في اليوم السادس عشر من شهر مهر " يجلس السلطان مسعود للمعايدة ولأخذ الهدايا من الوزراء والأمراء والولاة ، وعادة تكون هذه الهدايا قيمة ، ويتخلل هذه المناسبة ، قيام عرض عسكري يحضره السلطان وكبار المسؤولين في الدولة من الأعيان والولاة ، ويجلسون إلى المائدة المخصصة لهم حيث تحتوي على أنواع خاصة من المأكولات من الدجاج المشوي على الأسياخ والخصى والبيض المسلوق ، وبعد الانتهاء من تناول الطعام ، ينتقلون إلى مائدة أخرى أعدت للشراب الفاخر ، وأثناء ذلك يأخذ المطربون في العزف والغناء على القيثارة وآلات الطرب والغناء .

ج : حفلات الزواج : وأما في ما يتعلق بحفلات الزواج عند سلاطين الغزنويين وأمرائهم فيحدثنا البيهقي بمناسبات الزواج بما يلي :

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٥٤١

الإستلات ، استات القصعة مسها بيده ، وفي الصحاح السلاتة ما يؤخذ بالأصبع من جوانب القصعة لتنظف . البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٥٤١ هامش رقم (١)

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها

حين موافقة السلطان محمود عن تزويج ابنته لوالي جرمان (منوجهر بن قابوس) بالغ كل من السلطان ووالي جرجان في الاحتفال بهذه المصاهرة ، حيث صار موكب العروس بما يشبه المظاهرة من غزنة ماراً بأملأك الغزنويين ، ويتقدم هذا الموكب كبار رجال الدولة الغزنوية أمثال الخواجة علي ميكائيل وأميرك البيهقي وغيرهما من المقربين للسلطان الغزنوي لتوصيل العروس معززة مكرمة إلى مقر زوجها في جرجان ^(١).

كذلك يحدثنا البيهقي أيضاً أن جهاز ابنة كاليجار - والي طبرستان وجرجان - عندما زفت إلى السلطان مسعود فاق الوصف بما ضمه من تحف ونفيس الجواهر فقد " حظي برضاء السلطان الكامل ، فأمر بإدخال رسل جرجان بالنهار ، ثم ذهبوا ليلاً بالمهود التي أعدت لزوجات عظماء نيسابور ، وزوجات كل من الرئيس والقضاة والفقهاء والأكابر والعمال لاستقبال مهد بنت كاليجار " ^(٢) . ويضيف البيهقي قائلاً " وأمر السلطان بأن ينزل مهد العروس بها مع الجواري والمربيات والمشرفين والنساء والخدم والخادومات . ورجع أكابر نيسابور وكانت هذه المدينة تلك الليلة من كثرة ما اضيئ فيها من الشموع والمشاغل كأنها في طالعة النهار " ^(٣).

ويختتم البيهقي قوله حول ذلك " وطلعت شمس السلطان المشرقة على عروسه التي كانت كالقمر ، وكان لأهل جرجان من هذه الشمس مزيد من الفخار والشرف ، وتم الزفاف ببركة الله " ^(٤).

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٢٢٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤١٨

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤١٩

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها

يلاحظ من كل ما سبق ذكره أن حفلات الزواج وغيرها من المناسبات ، كانت تقام بشيء من الأبهة والعظمة ، وذلك بسبب التقدم والازدهار لدى الدولة الغزنوية في عهدها الأول من حكم السلطان محمود وولده مسعود ، إلا أن هذه الاحتفالات التي تميزت بالأبهة والعظمة بدأت تتراجع في السنوات الأخيرة من حكم السلطان مسعود لحراسان ، وذلك بسبب المواجهة العسكرية الصامدة من قبل السلاجقة ، والهزائم المستمرة على الجيش الغزنوي .

وفيما يتعلق بزواج عامة المجتمع ، فقد تميزت بالبساطة " إذ تزف المرأة إلى بيت الرجل ، حيث يقام حفل بسيط ، ووليمة ينفق عليها الزوج حسب إمكانياته " ^(١). ويرى السمرقندي أنه في بعض الحالات كان الأب يكدح ويجد في سبيل الحصول على الجهاز لابنته من ماله الخاص كما حصل مع الشاعر الفردوسي ^(٢). الذي نظم ما يقارب المائة بيت في هجاء محمود الذي حرّمه من الجائزة التي كان يتوقع الحصول عليها مقابل نظمه الشاهنامة للسلطان محمود الغزنوي ، " حيث كان يأمل أن تكون عالية لتدفع عنه في شيخوخته العناء " ^(٣).

سادساً : غنائم الحرب : من المصادر المالية المهمة للدولة الغزنوية : غنائم الحرب وإذا دققنا النظر في هذه الغنائم فنجدها كثيرة ، حيث أسهمت أموال هذه الغنائم في علو شأن الدولة ، كما جلبت لها شهرة واسعة . وعلى سبيل المثال الحملات العسكرية المكثفة التي قام بها السلطان محمود وابنه مسعود على بلاد الهند وما غنمه من أموال كثيرة ، استفاد منها في المنشآت العمرانية وخاصة المساجد

(١) بدر عبد الرحمن محمد ، رسوم الغزنويين ، ص ١٣٨ نقلاً عن مليحة رحمة الله ، صور من الحياة

الاجتماعية في المجتمع العباسي ، ص ٣١ ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٧ لسنة ١٩٧٠

(٢) العروضي السمرقندي : أحمد بن عمر بن علي النظامي ، (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م) جهاز مقالة (المقالات

الأربع) ، شرح وتحقيق محمد بن عبد الوهاب القزويني ، تعريب يحيى الخشاب وعبد الوهاب العزام

(القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩م) ص ٥٥

(٣) المصدر نفسه ، جهاز مقالة ، ص ٣٧

وفيما يتعلق بالحملات العسكرية على بلاد الهند في عهد السلطان محمود فقد اختلف المؤرخون حولها فمن وجهة هذا الاختلاف نرى أن بعض المؤرخين قالوا إنها بلغت (١٢) حملة عسكرية^(١) والبعض الآخر قال إن هذه الحملات التي وجهت إلى بلاد الهند بلغت سبع عشرة حملة^(٢). وأنا أميل إلى الرأي الثاني بأن عدد الحملات كانت سبع عشرة حملة في مدى سبعة وعشرين عاماً فيما بين عامي (١٧٠٣-١٧٠٤هـ/١٠٠٢-١٠٢٦م) لكونها أكثر ترجيحاً وكانت الغنائم التي استولى عليها السلطان محمود الغزنوي أثناء حملاته لبلاد الهند كما يلي^(٣) :

مما تقدم ذكره نرى أن الحملات العسكرية التي سيرها السلطان محمود الغزنوي إلى بلاد الهند ، كانت بالدرجة الأولى لنشر الإسلام في تلك البلاد ، ثم الاستفادة من الغنائم الكثيرة في تحسين الوضع الاقتصادي للدولة الغزنوية ، وإقامة المشاريع وخاصة بناء المساجد والمدارس ومما ثبت ذلك الحقائق الآتية :

الحقيقة الأولى : ما ذكره المؤرخ ابن كثير أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالاً جزيلة ليترك لهم الصنم الأعظم ، ولكنه رفض وقال قولته المشهورة " إنني فكرت في الأمر الذي ذكر ، فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم ؟ أحب إلي من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ثم عزم

(١) أ. ج. براون ، تاريخ الأدب في إيران ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي (القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٥٤م) ص ١١١

Stanly lane-Pools The Mohammadan Dynasties (New York : ١٩٦٥)

٢٣٦-٢٣٧

(٢) أحمد محمود الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ١ (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٥٩م) ص ٨٧

(٣) عبدالكريم حتاملة ، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية (٥٨٢٠٣٥١هـ/١١٨٦٠٩٦١م) أطروحة دكتوراه في الآداب (التاريخ) فئة أولى (دولة) منشورة (إربد : مطبعة البهجة ، ٢٠٠١م) ص ١٨٠

فكسره فوجد عليه وفيه من الجواهر والآلئ والذهب والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة" (١).

وعن الغنائم التي غنمها السلطان محمود في غزوته (سومنات) سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م) يحدثنا المؤرخ ابن الأثير عن بيت الصنم الذي كسره ، وأخذ بعضه إلى غزنة فجعله عتبة الجامع بقوله " وكان بيت الصنم مظلماً ، وإنما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق ، وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا (من) * كلما مضى طائفة معلومة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البرهمنين إلى عبادتهم ، وعنده خزانة فيها عدة من الأصنام الذهبية والفضية ، وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجواهر ، كل واحد منها منسوب إلى عظيم من عظمائهم ، وقيمة ما في البيوت تزيد على عشرين ألف ألف دينار " (٢) (٢٠ مليون دينار) وهذا يؤكد تماماً أن السلطان محمود الغزنوي كان هدفه هو نشر الإسلام في تلك الديار وأراد أن يبرهن لأهلها أن هذا الصنم الكبير لا ينفع ولا يضر .

الحقيقة الثانية : ما ذكره المؤرخ النيسابوري بنفس المعنى أن محموداً قال في ذلك أيضاً قولته المشهورة " أخشى أن يقول الخالق أمام الجميع يوم الحساب ، اصغوا جميعاً إلى آزر ومحمود فذلك ناحت الصنم وهذا بائعه " (٣).

(١) ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء القرشي ، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية ، ج ١٢ (بيروت : ١٩٧٧م) ص ٢١

المن : من الأوزان التي استخدمت في العصر الغزنوي ، وقد ذكر البيهقي أن المن من الخبز بثلاثة دراهم .

البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٤٥

(٣) النيسابوري : فريد الدين محمد بن إبراهيم النيسابوري المختلص بعطار ، (ت ٦٢٧هـ/١٢٣٠م) منطق

الطير ، ترجمة بديع محمد جمعة (بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر ١٩٧٩م) ص ٣٥٠

وما ذكره المؤرخ عباس إقبال بأن السلطان محمود الغزنوي كان رجلاً بخيلاً عابداً للمال طالباً للثروة ، ومع أنه كان يتذرع في غزواته للهند بنشر الإسلام والجهاد والغزو في سبيل ذلك في الظاهر ، وأضاف قائلاً فقد كان غرضه الأصلي نهب المعابد المتخمة بالثروة في الهند والقدوم بغنائمها ، وبالرغم من أنه أنفق جزءاً زهيداً من هذه الغنائم في التعمير: أبنية وحدائق وآثار خيرية في غزنة وبلخ وطوس ، ولكنه كان يكتز أكثرها ولا يصل للشعب شيء منها ^(١).

هذا الوصف للسلطان محمود الغزنوي من قبل إقبال ، والذي يكيل فيها التهم الحاقدة على الغزنويين ولعل يعود ذلك بأن الغزنويين من العناصر التركية وهم الذين أنهوا الدولة السامانية الفارسية ، وعند مجيء السلطان محمود إلى السلطة ، استطاع أن يجذب إلى بلاطه الشعراء والكتاب العلماء ، ويعني ذلك ازدهار اللغة الفارسية التي أصبحت لغة أدب قوي حتى بلغت كمال ارتفاعها على يديه ، وهذا ما حدث مع الفردوسي الذي هو من أصل فارسي ومتعصب لفارسيته وقد تجلى ذلك في منظومته الشاهنامة ^(٢) والتي مجد فيها حكام إيران الأسطوريين ، ونظم ما يقارب المائة بيت في هجاء محمود ، كما بدا أيضاً الخلاف العقائدي فالسلطان محمود كان سنياً ، لاحق الإيرانيين الخارجيين مثل الإسماعيلية والروافض على الإسلام بالقتل وهو فرض المسلم الصادق .

(١) الإشتياني : عباس إقبال الإشتياني ، (ت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م)

تاريخ إيران بعد الإسلام ، من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية (١٣٤٣-٢٠٥هـ / ١٩٢٥-٨٢٠م) . نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه د. محمد علاء الدين منصور ، راجعه الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي (القاهرة : دار الثقافة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٩م) ص ١٨٥

(٢) الشاهنامة : منظومة طويلة وضعها الفردوسي في ستين ألف بيت وقد أمضى في نظمها ما بين (٢٥-٣٠ سنة) سجل فيها الفردوسي تاريخ الفرس من خلال أساطيرهم وقصصهم المتناقلة ، وأظهر فيها تعصبا لقومه وملوكهم . حامد عبد القادر ، قصة الأدب الفارسي ، ج ١ (القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥١م) ص ٢٢١ . عبد الكريم حاتملة ، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية ، ص ٢١٨ هامش رقم (١)

فاعلية الوزراء في الإصلاح المالي والاقتصادي :

بالرغم من هذه السياسة الخاطئة من قبل الغزنويين فإننا نجد من حاول تلافي هذه الأزمة المالية والحد من تفاقمها ، ومن هؤلاء الذين قاموا بالإصلاح المالي والاقتصادي ، الوزراء الذين خدموا الدولة الغزنوية في فترة حكم السلطان محمود وولده مسعود ، وهؤلاء الوزراء أسهموا في إنجاح الدولة الغزنوية ببسط سيطرتها على الشرق الإسلامي ، كما تعاونوا في خدمة هذه الدولة في شتى المجالات والميادين معتمدين على خبراتهم الطويلة والتي كان لها الأثر الفعال .

فالوزير أحمد بن حسن الميمندي ، له الفضل الكبير في حفظ مالية الدولة الغزنوية وأنظمتها وله باع طويل في الإصلاح المالي ، وقد أحبه السلطان محمود كثيراً فولاه " عرض عساكره في أقطار ممالكه وزاده أعمال بست والرخج وما والاها بأموالها وارتفاعاتها " ^(١) ، كذلك فوضه " مهمات الإمارة وأمره بمحاسبات العمال ومطالبتهم بما صار في ذمهم من الأموال محكماً في الحل والعقد مخيراً بين الأخذ والرد " ^(٢).

ويروي لنا المؤرخ العتبي المعاصر عن نشاط وفعالية هذا الوزير بقوله " وأقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصده فهدب الأمور ونظم المنشور ووظف الأموال وصرف العمال وشاهد الأمور في كنف وزارته منظومة العقود مضبوطة الحدود والأموال وافرة الربوع * حافلة الضروع " ^(٣) هذه الرواية التي أوردها العتبي توضح مقدرة وفاعلية هذا الوزير في جباية المحاصيل الخراجية ، وقبض واردات بيت المال ، كما توضح أيضاً فعاليته في ضبط الأمور المالية حتى أصبحت خزائن

(١) العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ١٦٦

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٩

وافرة الربوع ، حافلة الضروع : وافرة الربوع : جمع ريع النماء حال من الأموال . حافلة الربوع : يقال

ضرع حافل أي ممتلئ لبنا . العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ١٦٩

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها

الدولة المالية مليئة بالأموال بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر المؤرخ البيهقي بأن السلطان محموداً أمر الكتاب أن يسجلوا كل ممتلكات الدولة بالإضافة إلى ممتلكاتهم الخاصة وذلك بسبب اتهامهم بالأنانية وحب الذات وعدم الاهتمام بمصالح الدولة ثم طلب الخواجة القوائم وقابلها بما سجله خازنو السلطان ومشرفو الدركاة وقدموها للسلطان صنفاً صنفاً ، وكانت أموالاً كثيرة لا تحصى من الذهب والفضة والملابس غير المخيطة ، وغلمان الأتراك الممتازين والخيول والنجائب الغالية ، وكل شيء من أعظم ما تزدان به القصور والدور السلطانية ، فأعجب السلطان بها أيما إعجاب وقال إن الخواجة رجل خالي الوفاض فلم لا يأخذ هذه الأموال لنفسه ؟ ثم أمر عبدوس أن يحمل إليه عشرة آلاف من الدنانير وخمسمائة ألف درهم وعشرة من خيرة الغلمان الأتراك وخمسة من الخيل الخاصة وبغلتين مسرجتين وعشراً من النجائب " (١) .

ويلاحظ أيضاً أن الوزير الميمندي أثناء عودته للوزارة مرة ثانية في عهد السلطان مسعود بن محمود سنة (٤٢٢هـ / ١٠٣١م) قام بهذه الفاعلية في إعادة تنظيم الأمور المالية بدقة ومحاسبة العمال في الأقاليم ، ثم رفع الظلم عن الفلاحين للضرائب الفادحة الذي فرضها الوزير حسنك .

ومن الوزراء الذين أبدوا فعالية ومقدرة في مالية الدولة الغزنوية الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني ، وبالرغم من أنه كان " جاهلاً لآداب اللغة العربية " (٢) إلا أنه كان ماهراً في ضبط أمور السلطنة ، ويؤكد ذلك البيهقي بقوله : " وكان قصره مقراً للاحتفالات الملكية الخاصة " (٣) .

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ١٦٨

(٢) Tripathi , R.p. Some Aspects of Muslim Administration

(Allahabad , ١٩٧٨) p. ١٦٤

(٣) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٥٤٣.٥٤٢

بالإضافة إلى ذلك فقد نشط في جعل اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية للدولة حيث انتشرت انتشاراً واسعاً بين أوساط الشعراء والأدباء ولا سيما الشاعر الفردوسي المشهور الذي نظم القصائد الشعرية في مدح الوزير الإسفرائيني ولكن هذه العلاقة الطيبة بينهما لم تدم طويلاً إلا أن السلطان محموداً أمر بحبسه ومطالبتة بالأموال وهذا ما أكد عليه المؤرخ العتبي بقوله: " فطالب الوزير منهما بما اقتطعه واتواه وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والإحالة فهما عضه العتب بثقافة ❖ أظهر الاستفادة وجلب إلى نفسه البلاء وأسلم النفس اختياراً وآثر الحبس قراراً" ^(١).

ولم تقتصر سياسة الإصلاح المالي والاقتصادي والإداري على الوزير الإسفرائيني فقط بل قام الوزير : أحمد بن حسن بن ميكال المشهور في عهد السلطان محمود بحسنك ^(٢) بجهد متواصل في سبيل نهضة الدولة الغزنوية إدارياً ومالياً واقتصادياً بالرغم من أنه كان جاهلاً بالمعارف والعلوم وليس له معرفة ودراية بالحساب " فقد علت منزلته ولكنه لا يعرف الحساب والكتابة " ^(٣). بالرغم من أن العلاقة الطيبة كانت بين السلطان محمود وحسنك إلا أنها لم تستمر طويلاً ، إذ تبني حسنك سياسة طائشة متهورة أدت أخيراً إلى شنقه سنة (٤٢٢هـ / ١٠٣١م) وهذا ما أكدّه البيهقي بقوله " وجاءوا بحسنك إلى المشنقة وأمروا حسنك بخلع ملابسه ، فمد يده وأحكم رباط إزاره وعقد أسفل سراويله ، ثم خلع جبته وقميصه وطرحهما مع عمامته وبقي عرياناً بالإزار واضعاً إحدى يديه على الأخرى " ^(٤).

(١) عضه العتب بثقافة : أي مسه من السلطان حدة الكلام. العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ١٥٩

(٢) Muhammed Habib: Sultan Mahmoud , p.٦٨

(٣) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٣٩٨

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٩

وبعد التخلص من حسنك ، قرر السلطان مسعود سنة (٤٢٢هـ / ١٠٣١م) إعادة الميمندي للوزارة مرة ثانية ، وفي هذه المدة أبدى الوزير كفاءة ومقدرة في إعادة تطوير السياسة المالية والاقتصادية عن طريق رفع الظلم الذي لحق سكان الأقاليم من جراء ما فرضه حسنك من ضرائب أثقلت قدراتهم المادية .^(١)

وفيما يتعلق بفاعلية الوزير أحمد بن عبد الصمد في عملية الإصلاح المالي في الدولة الغزنوية فيحدثنا البيهقي بذلك في قوله " وقام بعمل الوزارة على خير وجه ووضع القواعد والنظم ، فقد كان عظيم الكفاءة والجدارة والوقار وكان أديباً فاضلاً عارفاً بآداب المعاملة ، ولقد كان مع كثرة محامده آية في الرجولة ، وقد تمت على يديه أعمال كثيرة ، شهدت على ما كان لهذا الرجل من الفضل " .^(٢)

إلا أن السلطان مسعوداً أساء الظن به ، تحت تأثير أعدائه الذين أبلغوا السلطان " أن للوزير حديثاً مع الأعداء أراد منه التمهيد لمجيء السلاجقة إلى خراسان " .^(٣) وقد تعجب الوزير من سوء ظن السلطان به ، وتدخل أبو نصر مشكان في هذا الموضوع وتمكن من إزالة شك السلطان في ولائه^(٤) . وبقي الوزير أحمد عبد الصمد وزيراً نافذ الرأي حتى وفاة السلطان مسعود سنة (٤٣٢هـ / ١٠٤١م) .

أما كيفية إدارة الغزنويين لميزانية الدولة ، فكان السلطان محمود الغزنوي مصدر جميع السلطات وعنه تصدر جميع الأوامر الخاصة بشؤون الدولة ، فقد كان له حق التصرف المطلق بأنواع الدخل ، فكانت الأموال الهائلة تصل إلى غزنة من

(١) أحمد جوارنة ، طبعة الوزارة ، ص ٧٧

(٢) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٣٩٨

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥١١

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥١١-٥١٢ . كذلك انظر بدر عبد الرحمن محمد ، رسوم الغزنويين ونظمهم

الاجتماعية (القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية ، ١٩٨٧م) ص ٩٣

الولايات التابعة للدولة الغزنوية حيث تصرف على بناء المساجد والمدارس ، وشق الطرق ، وتجهيز الحملات العسكرية المستمرة طيلة عهود السلطان محمود وولده مسعود .

ويحدثنا المؤرخ العتبي المعاصر أن السلطان محموداً عندما أنهى قتاله مع أعدائه من الهنود سنة (٤٠٩هـ/١٠٨١م) وتحطيم أصنامهم ، عاد بثروة هائلة إلى دار الملك بغزنة ، أراد أن ينفق هذه الأموال بأعمال الخير لذلك " أحب أن ينفق ما أفاء الله عليه من أنفال أولئك الغلف الأغفال في عمل بر يشيع جدواه ويريع إلى أمر الإحتساب ومناه وكان قد أوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع " ^(١) ، وقد أنفق السلطان محمود على بناء هذا المسجد كثيراً من الأموال . وخاصة ساحة المسجد التي فرشت " بالمرمر ، منقولاً من كل فج عميق ومضرب سحيق " ^(٢) ، ويضيف العتبي قائلاً " وأما التذهيب فحسبك به أن صناع الرصافة قد عزت عليهم الحقائق وصحّ لهم تكليف ما لا يطاق وليس بصفائح الزرياب لكنه ضبات* الذهب الأحمر ، أفرغت عن صور الأصنام المجذوزة والبدة المأخوذة فطفقت تعرض على النار بعد أن كانت آلهة للكفار وتضرب بالمطارق بعد أن عبت بالخدود والعناق " ^(٣) . ولم يكتف السلطان محمود بذلك ، فقد اهتم كثيراً ببناء البيوت في المسجد للقائمين عليه " وقد أفرد السلطان لخاصته بيتاً في المسجد مشرفاً عليه مكعب البناء موسع الفناء متناسب الزوايا والأرجاء فرشاه وإزاره من الرخام

(١) العتبي ، تاريخ اليميني ، ص ٢٩١

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٣

* ضبات الذهب : جمع ضبة وهي حديدة عريضة يضرب بها الباب والضبة ما يشعب بها خلل الإناء ووصف

الذهب بالاحمرار إشعاراً بأنه خالص لا غش فيه . العتبي ، تاريخ اليميني ، ص ٢٩٥-٢٩٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٥

كدّت عليه الظهور حتى نقل من أرض نيسابور وقد أحيط بكل رخامة مربعة محراب من الذهب الأحمر مكحلاً باللازورد في تعاريج من ألوان المنثور والورد" (١).

واهتم أيضاً بالتعليم في داخل المسجد على المذاهب الإسلامية ، ولتحقيق ذلك فقد أضاف مدرسة إلى جانبي المسجد حيث "تتضمن بيوتها من بساط الأرض إلى مناط السقوف على تصانيف الأئمة الماضين من علوم الأولين والآخرين" (٢).

كذلك أراد السلطان محمود أن تبنى المساجد في نواحي الهند ، (يقوم فيها دعاة الله بالأذان الذي هو شعار الإيمان) (٣) وهذا ما يؤكد بأن الهدف العام للسلطان محمود الغزنوي في تسيير الحملات العسكرية هو نشر الإسلام في تلك البلاد وليس جمع الأموال .

وفيما يتعلق بالمنح والهبات : فقد كانت تشكل دليلاً قوياً على مدى سيطرة السلطان مسعود على الأموال ، فمن المثير للعجب كثرة وضخامة الأموال التي كان السلطان يمنحها لمن يشاء فلو كانت هذه الأموال من مصدر واحد لعجز هذا المصدر عن توفيرها .

كما أن هباته التي كانت من ألف دينار أو خمسمائة دينار أو عشرة آلاف درهم أو أقل أو أكثر من ذلك ، فلم يكن لها عد أو حصر وكثيراً ما كان يهبها للشعراء والندماء والخدم ، إذ كان يتحين الفرص ليهبهم شيئاً ، وقد تحدث البيهقي حول ذلك بقوله : " وقد كانت هباته في أول عهده بلا حساب ولكن تلك الرياح تراخت في آخر أيامه قليلاً ، ومن عادات الزمان أن شيئاً لا يبقى على حال واحدة ، إذ كل الأشياء عرضة للتغيير والتبديل والنقص والكمال " (٤).

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ . كدّت عليه : بمعنى التعب والمشقة .

(٢) العتبي ، تاريخ اليميني ، ص ٢٩٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ (ذكر وقعة ناردين)

(٤) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ١٣٨

وأما هباته وصلاته للشعراء فإنها لا تعد ولا تحصى فمثلاً " فقد وهب في ليلة للشاعر علوي الزينبي ما يساوي فيل وار أي ألف ألف من الدراهم التي يبلغ عيار كل عشرة منها تسعة دراهم ونصف من خالص الفضة ، وأمر أن تحمل هذه الجائزة الكبيرة على فيل إلى دار العلوي المذكور ^(١) .

من كل ما سبق ذكره نرى أن السلطان محمود وولده مسعود وحبهما في جمع الأموال من مصادرها المختلفة والتي تحدثنا عنها سابقاً ثم إنفاقها على الإصلاحات الزراعية وتشديد المرافق العامة ، ونفقات الحملات العسكرية ، ثم أسلوب الحياة المترفة التي كان يحياها البلاط الغزنوي وخاصة في عهد السلطان مسعود ، الذي كان مبدراً للأموال الكثيرة لإنفاقها في ملذاته ومجالس شربه ، ورحلات صيده أدى كل ذلك إلى وقوع الدولة الغزنوية في ضائقة مالية كبيرة من جراء النفقات ، مما أدى أخيراً إلى انهيار الاقتصاد الغزنوي وانتشار الفساد المالي واستغلال كبار رجال الدولة لنفوذهم في جمع الهدايا والأموال .

* * *

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ، ٨٠٣

الخاتمة :

بعد هذا العرض للإدارة المالية في الدولة الغزنوية في المدة الممتدة ما بين (٣٨٨-٤٣٢هـ/٩٩٨-١٠٤٠م) يمكننا ملاحظة ما يلي :

أولاً : قوة شخصية السلطان محمود والتي طغت على كل أجهزة الدولة ، حيث جمع كل السلطات في يديه ، حتى إنه كان لديه أحساس بأن الوزير عدوله وأنه لا يجوز أن يشاركه أحد في الحكم ، وهذا ما أكدّه البيهقي بقوله : " إن السلطان إذا استوزر أحداً فإنه يعاديه بعد أسبوع رغم حبه إياه إذ يتصوره شريكاً له في الملك " (١) .

ثانياً : أبرزت هذه الدراسة أن مصادر الدخل عند الغزنويين زمن السلطانين محمود وولده مسعود هي : الأراضي والممتلكات الخاصة ، والغرامات والهدايا وغنائم الحروب ، والضرائب العامة والمصادرات ، لذلك اهتم الغزنويون في هذه المصادر لإنفاقها في مشاريع الدولة الغزنوية ، كما سيروا الحملات العسكرية إلى بلاد الهند ، من أجل السيطرة عليها ، ونشر تعاليم الإسلام في ربوعها .

ثالثاً : بينت الدراسة أن هناك بعض المؤرخين أمثال المؤرخ عباس إقبال الإشتياني والذي يصف السلطان محموداً بأنه كان رجلاً بخيلاً عابداً للمال ، طالباً للثروة وأن هدفه كان نهب المعابد المتخمة بالثروة في الهند والقدوم بغنائمها من أجل نهبها والاستيلاء على أكثرها ، وقد أوضحت أن ما قاله عباس إقبال لا يستند إلى الموضوعية وهو يكيل للسلطان محمود كل الاتهامات ، وقد أوردت أكثر من مثال على ذلك .

رابعاً : أسهمت السياسات الاقتصادية الخاطئة في إضعاف الدولة الغزنوية ، وجلب عليها سخطاً عاماً ، ففي المراحل الأولى من نشأة الدولة ، كانت الأموال

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ٣٦٠

تنهال على خزينتها من جراء الغنائم والفتوحات لبلاد الهند والتي كانت تستنزف الكثير من هذه الأموال ، ثم تلا ذلك مرحلة انكسحت فيها حدود الدولة ، وقلت مواردها ، فتدهورت أوضاع الجيش القائم على حمايتها .

خامساً : أوضحت الدراسة أن أسلوب الحياة المترفة التي كان يحياها البلاط الغزنوي وخاصة في عهد السلطان مسعود ، الذي كان مبدراً للأموال الكثيرة لإنفاقها في ملذاته ومجالس شربه ورحلات صيده ، أدى كل ذلك إلى وقوع الدولة الغزنوية في ضائقة مالية كبيرة من جراء النفقات ، مما أدى أخيراً إلى الانهيار الاقتصادي الغزنوي ، وانتشار الفساد المالي .

سادساً : ركزت هذه الدراسة على دور بعض وزراء الدولة أمثال : الإسفرائيني ، والميمندي وحسنك وغيرهم في إصلاح الإدارة المالية ، وهؤلاء قاموا بإصلاحات كثيرة في أجهزة الدولة ، فممنهم من حمدت له هذه الأعمال ومنهم من لقي جزاء هذه الأعمال السجن ومصادرة أمواله ، بل الموت كما كان مصير الوزير حسنك .^(١)

سابعاً : كشفت لنا هذه الدراسة عن محاولة السلطان محمود وولده البحث عن وسيلة يتم بها التعويض عن نقص الموارد المالية ، فاستمروا في فرض الضرائب ، واستخدموا أعنف الأساليب في الحصول عليها ، وقد حدث في إحدى المرات ، أن السلطان محموداً كان في حاجة ماسة لتمويل حملة عسكرية في مدى يومين وكانت النتيجة كما يقول العتبي " أن الناس سلخوا سلخ الغنم "^(٢) .

* * *

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص ١٩٩

(٢) العتبي ، تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ١٦٨

قائمة المصادر والمراجع العربية والاجنبية :

أولاً : قائمة المصادر :

- ١- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن عبد الواحد الشيباني ، (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)
الكامل في التاريخ ، ج ٩ (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٩م)
- ٢- ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل النصببي ، (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)
كتاب صورة الأرض (ليدن : ١٩٦٧م)
- ٣- ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء القرشي ، (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)
البداية والنهاية ، ج ١٢ (بيروت : ١٩٧٧م)
- ٤- البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد ، (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)
الأثار الباقية عن القرون الخالية (ليزنج : ١٩٢٣م)
- ٥- البيهقي : أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي ، (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٩٢م)
تاريخ البيهقي ، ترجمة يحيى الخشاب ، صادق نشأت (بيروت : دار النهضة العربية
١٩٨٢م)
- ٦- السمرقندي : أحمد بن عمر بن علي النظامي ، (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)
جهاز مقالة (المقالات الأربع) ، شرح وتحقيق محمد بن عبد الوهاب القزويني ، تعريب
يحيى الخشاب وعبد الوهاب العزام (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩م)
- ٧- الإشتياني : عباس إقبال الإشتياني ، (ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)
تاريخ إيران بعد الإسلام ، من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية
(١٣٤٣.٢٠٥هـ/ ١٩٢٥.٨٢٠م) . نقله عن الفارسية وقدّم له وعلق عليه د. محمد علاء
الدين منصور ، راجعه الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي (القاهرة : دار الثقافة
والنشر والتوزيع ، ١٩٨٩م).
- ٨- الإصطخري : أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ، (ت ٣٤١هـ/ ٩٥٩م)
المعروف بالكوفي . المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني مراجعة محمد
شفيق غربال (القاهرة : ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)

- ٩- العتبي : أبو النصر بن عبد الجبار ، (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م)
تاريخ اليميني ، ج ٢ وبه شرح الشيخ أحمد بن علي الحنفي المنيني المتوفى سنة ١١٧٢م
وسماه الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي (القاهرة : ١٢٨٦م)
- ١٠- الفردوسي : أبو القاسم الفردوسي ، (ت ٤١١هـ / ١٠٢١م)
مقدمة الشاهنامه ، ترجمة الفتح بن علي البنداري ، علق عليها عبد الوهاب عزام
(القاهرة : ١٩٣٢م)
- ١١- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ، (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)
الأحكام السلطانية والولايات الدينية (القاهرة : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)
- ١٢- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)
نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١ (من أصل ١٨ جزء) (القاهرة :
١٣٦٩.٣٤٩هـ / ١٩٤٩-١٩٢٩م)
- ١٣- النيسابوري : فريد الدين محمد بن إبراهيم النيسابوري المتخلص بعطار ، (ت
٦٢٧هـ / ١٢٣٠م)
منطق الطير ، ترجمة بديع محمد جمعة (بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر ١٩٧٩م)
- ثانياً : قائمة المراجع العربية الحديثة والمترجمة :**
- ١٤- أحمد الجوارنة ، طبعة الوزارة في عهد الدولة الغزنوية (مستل من المجلد العاشر ،
العدد الثالث من مجلة أبحاث اليرموك) جامعة اليرموك ١٩٩٤م
- ١٥- أحمد محمود الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (القاهرة : مكتبة
الآداب ، ١٩٥٩م)
- ١٦- آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام نقله
إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريذة (بيروت : دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م)
- ١٧- أ. ج. براون ، تاريخ الأدب في إيران ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي (القاهرة :
مطبعة السعادة ، ١٩٥٤م)

- ١٨- بدر عبد الرحمن محمد ، رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية (القاهرة مكتبة الأنجلو
مصرية ، ١٩٨٧م)
- ١٩- حامد عبد القادر ، قصة الأدب الفارسي ، ج ١ (القاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥١م)
- ٢٠- عبد الكريم حاملة ، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية
(٣٥١-٥٨٢هـ/١١٨٦-٩٦١م) أطروحة دكتوراه في الآداب (التاريخ) فئة أولى (دولة)
منشورة (إربد : مطبعة البهجة ، ٢٠٠١م)
- ٢١- فؤاد عبد المعطي الصياد ، النوروز وأثره في الأدب العربي (بيروت : ١٩٧٢م)
- ٢٢- محمد حسن العمادي ، خراسان في العصر الغزنوي (إربد مؤسسة حمادة للخدمات
الجامعية ١٩٩٧م)

ثالثاً : قائمة المراجع الأجنبية :

- ١- Barthold , w . **Turkerstan Down to The mongel Invasion**
(London: ١٩٦٣)
- ٢- Bosworth , C.E. **The ghaznavids their Empire in
Afghanistan and Eastern**
 - i. Iran (Edinburgh , ١٩٦٣)
 - ii. **The Medieval history of Iran , Afghanistan and central
Asia**
 - iii. **variorum Reprints** (London ١٩٧٧)
- ٣- Stanly lane-Pools **The Mohammadan Dynasties** (New York :
١٩٦٥)
- ٤- Meyer , M.W **South Asia Ashort History of subcontinent**
(New Jersey : ١٩٦٧)
- ٥- Muhammed Habib: **Sultan Mahmoud of Ghaznin** (Lahore :
١٩٧٨)
- ٦- Tripathi , R.p. **some Aspects of Muslim Administration**
(Allahabad , ١٩٧٨)
- ٧- Nazim , **The life and times of sultan Mahmud of Gazna ,**
(Cambridge : ١٩٣١)

* * *

الملاحق

قائمة بأسماء الغزوات التي قام بها السلطان محمود الغزنوي لبلاد الهند

الرقم	الغزوة	هـ	م	النتائج (الفنائم)	المصدر أو المرجع
١	بعض الحصون والقلاع في إقليم لغنان	٣٩٢	١٠٠١	استطلاعية ثم العودة إلى غزنة	Nazim The life of sultan mahmoud p.٣٦
٢	بشاوَر غرب الهند	٣٩٢	١٠٠١	- أسر ملك الهند جيبال وإخضاع مدينة بشاوَر - غنائم كثيرة لا تحصى	العتبي، تاريخ اليميني، ج ١، ص ٣٦١
٣	بهاطية / عاصمة البنجاب	٣٩٥	١٠٠٤	- ضم هذه المنطقة إلى ممتلكاته - غنائم (١١٠) فيل + أموال لم يذكر عددها	ابن الأثير الكامل، ج ٩، ص ١٨٤
٤	الملتان	٣٩٦	١٠٠٥	- استسلام أبي الفتوح - دفع للسلطان محمود ٢٠ ألف ديناراً سنوياً	ابن الأثير، الكامل ج ٩، ص ١٨٦
٥	الهند / ارتداد نواسه شاه عن الإسلام	٣٩٧	١٠٠٦	- القبض على نواسه وإيداعه السجن - استخلف عليها بعض اصحابه	ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٩٢
٦	فتح قلعة بهيم نغر	٣٩٨	١٠٠٧	- الانتصار على ابرهمن بال بن اندبال (الأمان) - الفنائم أ- جواهر لا يعد ب- دراهم ٩٠ ألف درهم شامية ج- أواني ذهبيات وفضيات سبعمئة ألف وأربعمائة "من"	العتبي، ج ١، ص ١٠١.٩٤ ابن الأثير، ج ٩، ص ٢٠٧
٧	ناردين / الهند	٤٠٠	١٠٠٩	- الصلح - مال يؤديه ملك الهند + ٥٠ فيل . يكون في خدمة محمود ألفان من الهندود	ابن الأثير، ج ٩، ص ٢١٣
٨	الملتان	٤٠١	١٠١٠	- القضاء على حاكم الملتان بعد نقضه للعهد	Habib , p.p. ٣١-٣٢
٩	ناردين (قلاع البنجاب)	٤٠٤	١٠١٣	- الإنتصار والاستسلام - غنائم : مال فييل ، سلاح وغير ذلك - لقبه الخليفة العباسي القائم بأمر الله لقب	ابن الأثير، ج ٩، ص ٢٤٤

				نظام الدين	
١٠	تانسير / معبد	٤٠٥	١٠١٤	- جلب ضم تانسير الكبير إلى غزنة - ضم إقليم البنجاب إلى ممتلكات الغزنويين - أموال كثيرة + فيلة	العتبي ، ج ٢ ، ص ١٥٦-١٥٣ إقبال ، تاريخ إيران ، ص ١٧٨
١١	الهند	٤٠٦	١٠١٥	- ضل الطريق ووقعه مع عسكره في مياه فاضت من البحر حتى تخلص ثم العودة إلى خراسان	ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٢٦٠
١٢	قشمير وقنوج صاحبها راجيبال	٤٠٧	١٠١٦	- إسلام صاحب قشمير - إخضاع مدينة قنوج - غنائم من الذهب ستمائة ألف وتسعون ألفاً وثلاثمائة مثقال	ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٢٦٦
١٣	معبد موترا ، شمال مدينة أكرا	٤٠٩	١٠١٨	- استسلام مدينة أكرا - الغنائم : جميع نقائس المدينة ثم صنم من الذهب	إقبال ، تاريخ إيران ، ص ١١٨
١٤	إحدى القلاع الهندية	٤١٤	١٠٢٣	- الصلح - تقديم مال للسلطان محمود هدايا : طائر على هيئة القمر من صاحبه إذا أحضر الطعام وفيه سم دمعت عين الطائر	ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٣٣٣-٣٣٤
١٥	سومنا - معبد الهند العظيم	٤١٦	١٠٢٥	- الاستيلاء على المعبد - هزيمة الجنود - تكسير الصنم - غنائم كثيرة من الذهب والفضة والتي تقدر بالملايين ، تقدير قيمة النفائس ٢٠ مليون دينار	إقبال ، تاريخ إيران ، ص ١٧٩
١٦	انهلوار / قلعة	٤١٦	١٠٢٥	إخضاع القلعة	ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٣٤٥-٣٤٦
١٧	مدينة نرسي	٤٢١	١٠٣٠	- إخضاع المدينة عن طريق أحمد بن يثالكين نائب السلطان محمود بسبب مرضه - غنائم من الحرب	ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٣٩٥-٣٩٦

وزراء سلاطين الغزنويين في عهد السلطان محمود وولده

الرقم	السلطان	الوزير	ملاحظات	الخليفة العباسي
١	السلطان ناصر الدولة سبكتكين (٣٨٧.٣٦٦هـ / ٩٩٧-٩٧٦م)	* أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني (٣٨٧.٣٦٦هـ / ٩٧٦- ٩٩٧م)	طيلة حكم السلطان سبكتكين	الطالع لله (٣٨١.٣٦٣هـ / ٩٧٤-٩٩١م) القادر بالله (٤٢٢.٣٨١هـ / ٩٩١-١٠٣١م) (
٢	السلطان محمود الغزنوي (٤٢١.٣٨٨هـ / ٩٩٨- ١٠٣٠م)	* أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرائيني (٤٠١.٣٨٧هـ / ٩٩٨- ١٠١١م) * أحمد حسن الميمندي (٤٠١.٤١٢هـ / ١٠١١- ١٠٢١م) * أحمد بن ميكال حسنك (٤١٢.٤٢٢هـ / ١٠١١- ١٠٣٣م)	عزل	القادر بالله (٣٨.٤٢٢هـ / ٩٩١-١٠٣١م) (م
٣	السلطان مسعود (٤٣٢.٤٢٢هـ / ١٠٣١- ١٠٤١م)	* أحمد حسن الميمندي (٤٢٢.٤٢٢هـ / ١٠٣٠- ١٠٣٢م) * أحمد بن عبد الصمد (٤٢٤.٤٣٢هـ / ١٠٣٢- ١٠٤١م)	للمرة الثانية	القائم بأمر الله (٤٢٢.٤٦٧هـ / ١٠٣١-١٠٧٥م) (م